معركة الفصحى والعامية في الصين

توصيل اللهجات الاقليمية لمواكبة الركب العالمي

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

بعد اقتبال رئيس الاكاديمية العلمية الصينية للسيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب خلال رحلته الى الصين الشعبية فى العام الماضي انعقدت جلسات عمل مع اعضاء فى الاكاديمية الصينية لدرس المناهج والاساليب التي يسلكها اللغويون الصينيون لحل مشاكل اللغة والكتابة والحروف وتوحيد اللهجات الجهوية وتحقيق التوازي بين اللغة الصينية الحديثة واللغات العلمية المعاصرة وقد طلبنا من السيد الامين العام الافضاء بارتساماته حول هذا العمل الضخم فقال :

ان ابتداء اللغة الكتابية الصينية يرجع تاريخه الى ما بين الفين وثلاثة آلاف من السنين والغاية التي يستهدفها علماءاللغة الآنوالتي ينكبون منذنحواربعة عقود من السنين على انجازها هي توحيد اللهجات ومفرداتها والقواعد النحوية وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة . ومعلوم ان الفصحى الصينية انبثقت عن العامية بعكس ما وقع للغة العربية وكان لغويو الصين قد طالبوا منذ نحو مائة سنة بالاستعاضة عن العامية وتوحيد اساليبها فلم يتأت للمشروع ان يحقق الا ابتداء من عام 1919 حيث شرع فى وضع اسس اللغة الحديثة على اساس اللهجات الدارجة وكان الضابط الاساسي لهذه العملية هو ضمان التقارب والتواكب بين لغة العلماء ولهجات الشعب فالعاميات كانت مختلفة تبعا لاختلاف القوميات البالغ عددها خمسين (عددها السياسي لا يتجاوز احدى وعشرين قومية) .

وقد تكونت اللغة الصينية الحديثة من ثلاثة عناصر : الكتابة القديمة والعامية المستعملة واللغة الدخيلة وعناصرها الضئيلة تستمد من اليابانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية بسبب تعاقب التأثيرات الاستعمارية على هذه المنطقة فى مختلف العصور وقد دخلت الى الصينية الفاظ عربية عن طريق الانجليزية مثل اريكة وصافا اي متكأ من الصوف Sofa (1) بينما اثرت الهندية عن طريق النحلة البوذية .

وقد انطبعت مسطرة العمل بطابع شيوعي تجلى فى منهاج التوحيد المكون من ثلاثة مقومات .

1) مقاومة النظام الرجعي فى تطوير اللغة بتركيز كل تطوير على الوعي الوحدوي الجماهيري

2) توحيد اللغة على اساس التقريب بين الجماهير وتوحيد الثقافات الاقليمية .

3) اتخاذ اللهجات المحلية وخاصة الشمالية اساسا للفصحى مع اقتباس اصول النحو مما وضعه العلماء المحدثون فى كتاباتهم بعد الثورة كمقالات ماوتسي تونغ المختارة .

---

(1) بالاضافة الى التأثير العربي عن طريق التجار المسلمين الذين اثروا فى المجتمع الصيني عامة وفى الاوساط الصينية الاسلامية خاصة .

وقد تحقق الان تعميم عناصر اللغة الحديثة باستقصاء دراسة العاميات القومية للبحث عن ضابط التقريب بين الدارجة والفصحى فصدرت بحوث فى النحو والبلاغة وخاصة المصطلحات التي يتبلور اختيارها فى وضع معجم فى شكل اداة طيعة بيد الشعب .

المعجم الصيني الموحد

وخلال الجلسات التي عقدناها فى الاكاديمية قدم عضوان فى بعض المراكز المجمعية احدهما وهو الاستاذ ليوجيان Liu Jian بحثا حول اللغة الصينية والآخر وهو الاستاذ موهان Mou Heng عرضا حول المعجم مع الاجابة عن كل الاسئلة والملاحظات التي كنا نبديها بين الفينة والاخرى : ونحن نلخص هذين العرضين فيما يلي :

ان وضع معجم صيني يثير مشاكل معقدة تندرج فى ثلاثة اقسام :

1) سبب تأليف المعجم الموحد هو تطوير اللغة ضمن الاصلاح الثقافي العام استجابة لمقتضيات الوحدة الثقافية بين عناصر الشعب الصيني فالوحدة يجب ان تتم طبقا للوازم العصر ومقتضياته وللاوضاع المتجددة فى الصين فى حقل الاشتراكية والعلوم والتكنولوجية العصرية مماضاعف المفردات الحديثة وابطل استعمال مصطلحات قديمة، نعم تتوفر اللغة الصينية على مفردات غزيرة غير انها لا تستجيب لمطالب المجتمع الجديد فلذلك استعيرت مفردات قديمة صالحة وتولدت اخرى حديثة اصبح الشعب يستعملها فى مجال التقنيات فتنوعت بذلك معطيات الفصحى الصينية بترجمة مصطلحات التكنولوجية الغربية الحديثة مثل بينيسيلين Penicilline اصبحت تسمى تشين مي سو ومعناها عنصر القضاء على السم والالتهاب وهناك طريق ثان هو نصف ترجمة معنوية ونصف لفظية مثل tracteur بالفرنسية او tora بالروسية صارت طورا — تي Tora-ti اي ماكينة .

2) العامل الثاني لتركيز اللغة هو النهوض بالثقافة الاشتراكية على ضوء النهضة الاقتصادية القائمة ونظرا لكثرة الحروف لم يمكن طبع معجم مرتب عليها لهذا رتب معجم جديد على خطوط الكلمة وقد طبع عام 1955 باسم « قاموس الصين الجديدة» فى 7000كلمة فى جزء واحد مبسط يجعل فى متناول الطلبة والبحاثين والعمال ، وقد وقع العدول عن الخطوط للاستعاضة عنها بحروف الفبائية وعددها خمسة وعشرون حرفا (فى اللغة الصينية 3000 من الخطوط الاساسية اي اول الكلمات المفردة)

ومعلوم ان طريقة الخط هي عبارة عن الرسوم الصينية الحرفية التي سيستعاض عنها بالحروف اللاتينية .

3) توحيد اللغة وتعميم الفصحى الحديثة

مسطرة تأليف المعجم :

وقع الشروع فى تأليف المعجم الجديد عام 1955 (بينما يرجع تاريخ اصدار المعجم القديم الى عام 1927) بعنوان « معجم مفردات اللغة الصينية الحديثة » تحت اشراف مكتب تحرير المعجم التابع لكلية بحوث اللغة الصينية الملحقة باكاديمية العلوم الصينية وهو معجم وسيط اساس مصطلحاته اللغة الفصحى الحديثة وهو خاص بالابتدائي والثانوي :

1) الكلمات وهي مجموعة خطوط ليس لها معنى خاص ، فالخط المرسوم هكذا : 人 معناه الشعب ولكن معناه العام هو الانسان فى اللغة القديمة وقد احتفظ به .

2) المفردات : تقتبس من نشرات وكتب حركة التحرير وخاصة مصنفات ماوتسي تونغ فى المستوى المتوسط فقط ولاختيار هذه المفردات ضابطان اثنان يرجع احدهما لتاثير الافكار البروليتارية السياسية الحالية التي هي مظهر للملامح الطبقية مثل الكومونات الشعبية Communes rurales والقفزة الكبرى والفرق الانتاجية والاخرى لفضح النظام القديم بدافع اختيار نقدي على ضوء افكار ماوتسي تونغ فلهذا حمل اللغويون على « قاموس اللغة الوطنية » الذي صدر عام 1933 بدعوى امتلائه بالفاظ مقتبسة من نظام تشانغ كاي شيك لا يوجد من بينها كلمات مثل المقاومة والانقاذ الوطني فمقياس توحيد اللغة يكمن اذن فى نظر اللغويين الصينين المعاصرين فيما يجب ان تعكسه المفردات الجديدة من روح زمنية اي منبثقة عن مبادىء ماوتسي تونغ وعلى هذا الاساس وحده يتم انتقاء المصطلحات والامثال السائرة فى العاميات الحديثة وكذلك الجمل التي يضاف اليها شرح للالفاظ الدخيلة المختارة .

والعمل التنسيقي الحالي يسير على نهج محكم ففي عام 1956 تاسس مكتب التحرير لتعميم الفصحى المشتركة يشتغل فيه نحو ستة عشر شابا جامعيا

مع عدد قليل من الخبراء القدامى الذين سبق ان ساهموا فى وضع المعجم الاول وهناك ايضا خبراء لكل مادة يقومون باختيار ما يتصل باختصاصهم وكلهم طلاب يتخصصون فى اللغة بكلية الاداب ويتلقون تكوينا فنيا دقيقا للاضطلاع بمهمتهم ويقوم هؤلاء المتدربون باختيار **المواد الاولية المستعملة من :**

ا) المصادر الادبية وخاصة المقالات والابحاث النموذجية الاشتراكية .

ب) مواد العلوم الاجتماعية مثل كتب مدرسية ابتدائية وثانوية وقراءات مبسطة .

ج) معارف تكنولوجية .

أما المواد الثانوية فيقتبسونها من المعاجم القديمة كقاموس اللغة الجديدة المطبوع اول عهد التحرير بالاضافة الى المواد الحية المأخوذة من اعماق جماهير الشعب ومن حياته اليومية وعاداته وميوله ومفاهيمه وتعابيره التلقائية عنها .

وقد انيط هذا العمل الضخم بثلاث فرق جمعت خلال عام واحد 700 000 جزارة (اي بطاقة) اساسية ثم خلال عشر السنوات التالية الى عام 1966 جردت 900 000 جزارة اضافية من المقالات الصحفية والمجلات .

أما اختيار المفردات فانه عملية معقدة تتطلب تحليلا علميا للمفيد وغير المفيد وقد اختير خمسون الف مفرد من سبعمائة الف ثم نتج عن فحص ثان ادق انتقاء ثلاثة آلاف مصطلح اضيف اليها ستة آلاف أخيرت من التسعمائة الف وهذه الارقام تقريبية .

ولا يتم الاختيار للمصطلحات الاصلح الا بعد جدال عنيف بين الاعضاء الذين ينتمون لمختلف الاقاليم والقوميات ويمثلون مختلف الاتجاهات وذلك حول مقاييس الاختيار اي موضوعيته او الى الانسياق مع الايديولوجية البروليتارية كمقياس للحكم للفظ او عليه غير ان الاتجاه العام السائد هو ضرورة انعكاس السياسة الاشتراكية والمفاهيم الايديولوجية فى تركيز الثقافة الجديدة عن طريق مصطلحات جديدة فالمصطلح المختار وتعريفه يتأثران بمقتضيات المجتمع الطبقي القائم فالروح مثلا تعرف بأنها كلمة خرافية وبأن رسالة الماركسية التي لا تومن بالاله هي فضح خرافة الروح وقداسة الاديان .

وهاك مثلين آخرين للتدليل على مدى تأثر اللغة وتطويرها بالعامل السياسي ذلك ان ملاك الاراضي الذين عرفهم القاموس الوطني القديم بأنهم مالكون للارض يؤجرون فدادينهم للفلاحين فى مقابل صاروا يعرفون الان بأنهم مالكون لا يشتغلون وانما يعيشون على حساب الفلاحين .

وللتعبير عن الموت مثلا يقال الوفاة وهي موت المحترم سياسيا فى حين ان الموت يعبر بها عن وفاة المحتقرين من خصوم الاشتراكية .

فاللفظ اصبح محط انعكاس لا للمفهوم العلمي او التاريخي او الحضاري وانما هو مرآة الاتجاه الاديولوجي الجديد .

ويستند اللغويون خاصة على ما يسمونه بحكمة الجماهير فالكلمة الاخيرة هي نظريا للشعب فى اختيار اللفظ الصالح .

وهنالك لجنة للتبادل مكونة من ثلاثة اعضاء تختارهم اللجان او الفرق الثلاث المذكورة والتبادل هنا معناه اعادة النظر فى الجزازات وارجاعها الى رئيس كل لجنة للتمحيص فتعاد الجزازة الى صاحبها الاول للتحري وابداء الرأي من جديد وبعد التصحيح الثاني للجزازات ترجع كل جزازة الى الرئيس العام للفرق الثلاث زيادة فى التمحيص ثم تعاد الى واضعها للمرة الثانية لتصحيحها على ضوء التوجيه الجديد وهو التوجيه الناتج عن اقوال ماوتسي تونغ القائلة بأن القاموس له هدف واحد هو الجماهير فينبغي ان يكون عمليا واقعيا مفيدا للشعب اذا اريدت له الحياة فلهذا تكلل العمليات السابقة بطبع كل الجزازات فى الورق المهرق (ستنسيل) لتوزع على الجماهير من رجال التعليم والجامعة وغير الامين من العمال والجنود .

أما مفردات العلوم التكنولوجية فانها تعرض فى نهاية الامر على انظار مؤسسات البحوث العلمية لاقرارها .

وهكذا يرى لغويو المذهب الصيني الجديد ان اللفظ الحضاري العام يخلقه الشعب ويقره الشعب اما المصطلح العلمي فان انتقاءه راجع للاختصاصيين واذا كانت الفكرة طيبة فى اساسها لانها تبني قابلية حياة اللفظ على مدى تغلغله فى المجتمع واقبال الجماهير عليه فان الايغال فى ذلك قد يؤدي الى نوع من الشكليات المصطنعة والحل الوسط الذي نرتئيه هو ان العامية اي اللفظ المتغلغل فى احشاء الشعب يجب ان يحسب له حسابه فى تطعيم الفصحى لما ينتج عن التلقائية الجماهيرية احيانا من روعة فطرية وعمق جبلي ، ولكن اتخاذ ذلك اساسا للعمل قد يؤدي الى فوضى لا داعي لها .